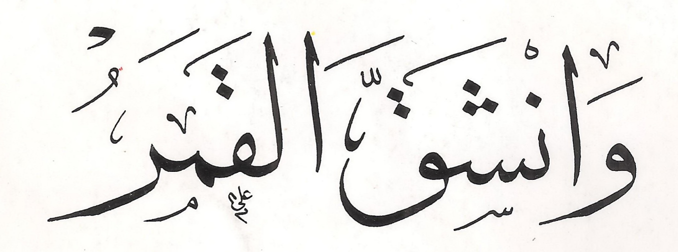
الدكتور عبدالله مصطفى





الطبعة الاولى

" المؤلـــف "

* عبد اللّٰه بن مصطفى بن ابي بكر بن محمد بن عبد اللّٰــه .

* هرشمي من اسرة علمية عريقة في العراق .

* حاز مرتبة " دكتوراه " في القانون المدني من كلية القانون (الحقوق) بجامعة لندن .

* تولى تدريس القانون استاذاً على الملاك الدائم في الجامعة المستنصرية ، واستاذاً محاضراً في جامعة بغداد .

* " مجاز " و " مجيز " في علوم الكتاب والسنة .

" بعـض مؤلفاتـه المطبوعـة "

١- " الرفيق الاعلى " : بحث في برهان العقل والحكمة والفيزياء الكونيتين .

٢- " معالم الطريق " : في عمل الروح الاسلامي .

٣- " الحرية الجامعية " : قصص من واقع الحضارة والحياة .

٤- " علم اصول القانون " .

٥- " المقتضب " : منهج جديد " لعلم الوضع " اللغوي .

٦- " المقتطف " : منظومة في " علم الصوت " اللغوي .

٧- " نفحات الحياة " : ديوان شعر معاصر .

الناشـــر

الحـــاج ثائـر جـواد السامـرّي

مطبعة العبايجي

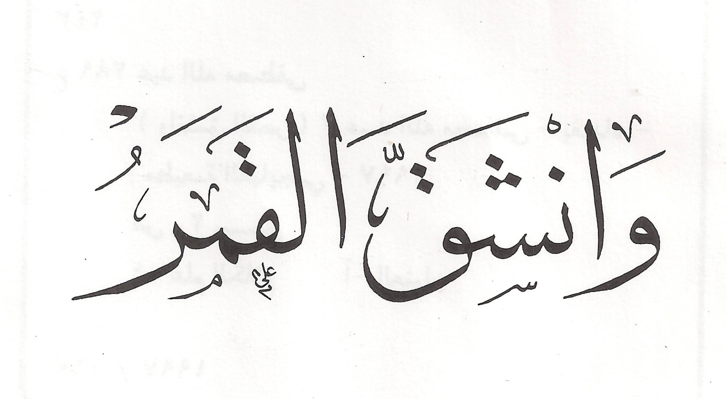
السعر ٢٥٠ دينار .

وانشق القمر

الطبعة الاولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الدكتور عبدالله مصطفى



٢٤٣

ع ٢٨٩ عبد الله مصطفى

(وانشق القمر) / عبد الله مصطفى - بغداد -

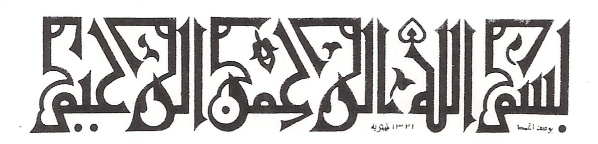
مطبعة العبايجي - ١٩٩٧

ص ٢٠ سم

١- علم الكلام آ- العنوان

١٦٧ / ١٩٩٧

الفهرسة اثناء النشر


بسم الله الرحمن الرحيم
يوسف الخط
١٣٢١ هجرية


«الشمس والقمر بحسبان»

لِلَّه

الحمد من قبل ومن بعد

والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وآله و أصحابه و أتباعه أجمعين.

"شكر وتقدير"

تفنى الأواصر وآصرة العلم باقية تتجدد تزين حواشيها غلائل التقدير والشكر الجميل. وهذه احدى مظاهرها. الدكتور السيد الشيخ محمد فاضل السامرئي أسدى معروفا وتعب كثيراً في طبع كتبي وتعميم النفع بها. لقد ناب عني في كل ما اتصل بالمطبعة وبالناشر. فأشكره شكرا جميلا وادعو له بالخير دعاء جزيلا.

وأما الكتب المنشورة فهي: و"انشق القمر"، "نفحات الحياة"، "علم اصول القانون"، و"البرد النضير". والدكتور مقبل على طبعة ثانية لكتابين آخرين هما "الرفيق الأعلى" و"معالم الطريق في عمل الروح الاسلامي".

واما الناشر فهو الحاج ثائر جواد السامرئي، أرجو له التوفيق في عمله واشكر له الإخلاص في الإقبال على نشر الثقافة الإسلامية.

ويا ربنا: جل جلالك وعم نوالك. عندك مفاتح كل خير ومكرمة ومغانم كل عفو ومغفرة.

أنت الغني وكلنا فقراء في درب الحياة.

٢٠٠٤م.

أما بعد:

فاشتهر بين المسلمين أن القمر انشق على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم. ورويت في هذا النبأ روايات وأخبار. والناس قديما و حديثا بين موقن صحة ما روي وبين مرتاب فيه أما ريبة جاحد أو ريبة شاك متحير.

وليس الاختلاف محصورا بين أبناء المسلمين: فإن من غير المسلمين من أيقن بالأمر الجلل؛ وإن من أبناء المسلمين من ارتاب فيه. والأسئلة الدائرة فيه عويصة.

- أكان جرم القمر قد انشق فعلاً فصار فلقين؟

- أم زاغت الأبصار هنالك فخيل إلى الحاضرين ساعته أن القمر نصفان ؟

- أم لم يحدث شيء من هذا ولا من ذاك والأثر مصنوع لا حقيقة وراءه ؟

الذاهبون إلى الوجه الثالث لا يبذلون جهدا عقليا، بل يستسهلون مكانه التسرع إلى الحكم بأن

حديث الانشقـــاق موضـــوع. ويردهـم فـي ذلـك تعدد الروايـات والآثـار مـن علمـاء ثقـات وفـي التـأريخ المنسوبة اليه الواقعـة.

والى الثاني يتسارع الذيـــن يشق عليـهم الجـزم بحدوث الانشقاق في واقع الأمـر، وأيضـا يشـق عليـهم الحكم بنفي الحادثة نفيا باتا، فيقولـون: النـاس رأوا القمـر منفصلا نصفين فرووا ما قـد رأوا.

ومن الذين يذهبون إلى الوجــه الأول مـن يقـرون وقوع الانشقاق ويتحرون له الأدلة النقلية، ثـم لا يكلفـون أنفسهم البحـث فـي وجـه الانشقـاق وكيفيتـه. وإيمـان العجائز مريح ويفيد صاحبه برد اليقيـــن.

أما العاني المتشبـث فـهو ذلـك العـالم المؤمـن الباحث عــن صـور الحقيقـة المتطابقـة فـي المعقـول والمنقول دونما افتراق. وكاتب هــذه الورقـات يحـبّ أن يسرع إلى القارئ الحصيف ببيــان اعتقـاده بـأن القمـر انشق أكثر من مرة في الحجاز قبـل الـهجرة. وفـي مـا يلي تفصيل هذا البيـــان.

إذا قلنا هــاهو البـدر بازغـا فـي كبـد الســماء فالحقيقة في قولنا هذا هي أننا نشـــاهد بأبصارنـــا النـــور المنعكس إلينا من جرم البدر. والمشاهد لحظـة قلنــا قولنــا ليس هو النور المنعكس في تلك اللحظة، بــل ذلــك الـذي كان قد انعكس قبلها زمانا بنحو مــن ثانيــة وثلـث ثانيـة. وكذلك الشأن في كلامنا هذه الشمس بازغـــة فــي رابعــة النهار. فالمشاهد لحظة الكلام إنمـــا هــو ضـوء الشمـس الذي انساب إلى أعيننا قبل نحو من ثمـــان دقــائق وثلـث دقيقة. وضوء "الشعــري اليمانيــة" الــذي نشــاهده الليلــة إنما هو الضوء الذي بدأ سيره أليـنـــا قبــل تسـع ســنوات من سنهات أرضنا. وهذه هي حقــائق الســرعة والمســافة في علمي الفضاء والفيزياء، ســواء كــانت مــدة الزمــان المبحوث فيــه ثانيــة واحــدة أو ثمـــاني دقــائق أو تســع سنوات أو اكثر أو اقــل.

فحديثنا الآن في الضوء ســواء كـــان مــن مصــدر مشع كالشمس أو مصدر عاكس كـــالقمر. والمنعكــس مــن القمر ضوء، سواء كـــان القمــر هــلالا أو بــدرا أو مــا

بينهما، وتخصيص القمر التمّ باسم البدر إنما هو أمر لغوي كما أن تخصيص الضياء المستفاد من مصدر مشع باسم النور حسنة أخرى من حسنات التوسع اللغوي. الأصل هو الضوء والضياء. ولو انعدم انعكاس كل نبضة ضوء من سطح القمر لما رأينا القمر، لا هلالا ولا بدرا؛ واقرب شاهد على ذلك هو القمر نفسه حين يكون في وضع محاق تام بالنسبة إلينا. وكم في الفضاء من موجودات لا تصدر إلينا ضياء ولا شعاعا فلا نراها بل لا نعلم بوجودها أصلا. فما هو الضوء ذاته يا ترى ؟

الضوء نوع من أنواع الموجات الكهرومغناطيسية، هذه التي تجمع بين خصائص للطاقة وخصائص للمادة. ومن ههنا حيرة علماء الفيزياء في شأنها - حتى سموها لبنات المادة. وهو مرئي لنا بأعيننا، وهو الذي نرى به الأشياء - حتى إذا فقد مثلما إذا جن الليل استعصت الرؤية على الأبصار.

وإذا انساب على البسيطة صباحا اشرق كل شيء عليها إلى حين.

ويخبرنا علما الفضاء والفيزياء الذرية ان كل واحدة من هذه الاكر السابحة في الفضاء لها عمر ينقضي حين يأتي اجلها. تتقضي انقضاء كرة منفجرة مستحيلة إلى غبار كوني، أو انقضاء إشعاعات منسابة في الفضاء المترامي دفعة أو على تدريج. والمادة والطاقة متعاورتان (على ما ذكرنا في كتاب "الرفيق الأعلى") تستحيل أحداهما إلى الأخرى. "ومن ههنا انفتح في علم الفيزياء مجال لمعرفة أعمار المواد بقياس مقادير تحللها أو تحلل العناصر المشعة - ولا سيما بعد أن علم أن نصف كمية المادة أو العنصر المشع يتحول إلى طاقة أو إشعاع في زمن معلوم دونما تأثر بالأحوال الجوية. ومن ثم أمكن وضع جدول منتظم لاعمار أهم وحدات الكون والطبيعة: الذرات المشعة، الأرض، الكواكب، النجوم، المجرات،

بملايين السنوات التقويمية". ("مجمع الاشتات" ص٧٩).

وأحدث وصف للضوء هو أنه تيار متصل مكتظ من حزم "الفوتونات" السارية، كسائر الأشعة، بالسرعة المعروفة (٣٠٠ ٠٠٠ كيلومتر في الثانية). وترى الضوء ذا لون واحد بل عديم اللون، ويحدثك منشور الزجاج، كما يحدثك قوس قزح، انه ذو سبعة ألوان يرى واحدا. وترى حاجزا كجدار يستر من أشعة الشمس بعض فوتوناتها نهارا عن بضعة أمتار مربعة من سطح الأرض فيحدث هنالك ظل. فإذا كان حاجز الفوتونات كبيرا وصفيقا مثل كرة الأرض في أفق من آفاقها انسلخ الليل من النهار لا محالة. ولنعد الآن من الشمس إلى "الشعري اليمانية". فهذه لو كانت أمس قد انقضت وانتفت كرتها في واقع كيانها المادي فإنها ستبقى موجودة ماثلة لنا في واقع كيانها الضوءي مدة تسع سنوات أخرى. وهذه الحقائق لا تبقي ريبا في أن

السبب المهم في المشاهدة بالبصر هـــو الضـــوء لا جـــرم الشيء وحده المراد رؤيتــــه.

ومــن القمـــر يــأتي إلينـــا الضـــوء، او النـــور إذا أحببت، بساطا من حزم الفوتونـــات منبســـطا علـــى آفاقـــ عديـدة والحـــزم مســتعصية علـــى الحســـاب لكثرتـــها المعجزة. وحزم الفوتونـــات السباقة إلـــى ارض مكـــة أو الحجاز هي غير الحزم المســـرعة إلـــى القـــاهرة أو وادي النيل أو بابل وبغداد. والحزم في كل أفـــق تتبسط علـــى أرجاء ذلك الأفق، وليست توجد في أفق آخـــر لمّـــا يطلـــع القمر عليه. فإذا أريد إجراء خارقـــة للعـــادة مرئيـــة فـــي القمر فالوضع المناسب لذلك هـــو شـــق حـــزم الفوتونـــات الواصلة إلى حيز الاجـــراء والرؤيـــة دون تـــراب القمـــر وصخوره ولا الفوتونات الذاهبة إلـــى حـــيز آخـــر. وهـــذا المقام في حاجة إلى مزيد بيـــان.

بديـــع الســـموات والأرضيـــن قـــادر علـــى الخلـــق بسبب وبدون سبب. فإنمـــا أمـــره إذ أراد شيئـــا أن يقـــول له كن فيكون. وهو جل جلاله الذي قدر لكـــل عـــالم مـــن

عوالمه الكثيرة قوانينه وطبائعه، وجعل عالمنا في السماء الدنيا مبني الانتظام على الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات - ومنها القوانين الفيزيائية والكيميائية والطبيعية. وما جعل معجزات الأنبياء، على إنها معجزات، مجردة من دواعي الأسباب والمسببات:

قدّر عصا نبيه موسى الكليم - صلى الله وسلم على خاتم الأنبياء وعليه- سببا لاحباط ما سحر به سحرة فرعون، فألقاها فإذا هي حية تلقف ما يأفكون. وما كان بعزيز على الخلاق اللطيف الخبير أن يحبط السحر من دون السبب العصا أو دونما سبب على الاطلاق. لكنه قانون الأسباب والمسببات.

وحينما أصابت أصحاب خاتم النبيين - صلى الله وسلم عليه وآله وأصحابه - ضائقة شحة الماء وفقدانه بارك الربّ العظيم أصابع رسوله، فلما وضعها في وعاء الماء تدفق النمير العذب من بين أصابعه المباركة ثرا يشخب. وما كان بعزيز على الله

جل جلاله أن يخلق لهم الماء بعيدا عن الأصابع وقربة الماء. لكنه قانون العلل والمعلولات.

وصار لانشقاق القمر جوه المخصوص به. بدأ الوحي يهبط إلى خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين- وأمره ربه أن "قم فانذر وربك فكبر". دعا الى الله جل شأنه. فكفر به مشركو مكة وطالبوه بإظهار معجزة. ومن ثمة رويت معجزة شق القمر. يقول البخاري في صحيحه: "حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس -رضي الله عنه- قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر". (البخاري، "الجامع الصحيح"، الجزء السادس، ص ١٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت). فواقعة الانشقاق وروايه خبرها قد تمتا في بقعة واحدة هي ام القرى او افق الحجاز.

مما تقدم يتضح أمور. أولها أن المعجزة ظهرت يوم اذ كان الإسلام في مهده بمكة قبل الهجرة وقبل أن تنتشر دعوته إلى سائر الأصقاع والآفاق. والثاني أن المقصودين بتوجيه المعجزة والتحدي قد

كانوا هم أهــــل مكــة. والثــالث أن الخارقــة الفلكيــة إن كانت قد شوهدت في أقطار و آفــاق مــا إن بلغتــها نبـأة البعثة النبوية بعد فأنها وان رؤيت فهي فـــي حقــهم مجـرد ظاهرة فلكية معزولــة عــن الارتبــاط بالرسـالة والنبـوة والتحدي. وإذا أنعدم النزاع ســهل علــى النــاس التنــادي إلى الرؤية والرواية الكثــيرة فــي شــأن خارقــة فلكيــة، فكان يتوقع أن تروى وتدون بين كــل الاقــوام فــي كـل الآفاق التي كان القمر فيها ســاعتئذ فــوق دوائــر الأفــق. وذلك ما ليس لدينا عليه من دليل، إلا ما شوهــد فــي أفـق الحجاز ورواه المســلمون.

وهذه حقيقة نبهتني إلــــى أن المعجــزة قــد كــانت أعظم ممــا يتصورهــا اكــثر النــاس مسـلمين أو غـير مسلمين. ففي لحظة واحدة معينة انشق القمــر فــي آفــاق معينة وما انشق في ســائر الآفــاق فــي اللحظــة ذاتــها. وجدان وانعدام حقيقيان لظاهرة واحدة علــى قمـر واحـد في آفلق متعددة فــي لحظــة واحــدة! يــا لجــلال قــدرة الخالق العظيم خالق الأكــوان.

واعتضدت الانتباهة عندي بما نقلـه الحـافظ ابـن كثير فـي تفسيره (ج ٤ ص ٢٦١ دار إحيـاء التـراث العربي - بيروت) قائلا قال البخـاري: "حدثنـي عبـد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنـا سـعيد بـن أبى عروبة عن قتادة عن انس بـن مـالك "أن أهـل مكـة سألوا رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم أن يريـهم آيـة فأراهم القمر شقيـن حتـى رأوا حـراء بينـهما". ففرجـة الشقين التي رأوا حراء من خلالها لا بد أنـها كـانت فـي حيز المسافة بين حراء وبين أعين النـاظرين. فيـا تـرى أي شيء من القمر قد كان حاضرا في ذلـك الحـيّز؟

نعلم اليـوم أن للقمـر ترابـا وصخـورا ورمـادا ووهادا ونجادا وبساطا متراصا عظيم السـعة مـن حـزم الفوتونـات. والبسـاط العظيـم هـو وحـده الـذي كـان موجودا فـي ذلـك الحيز، بـل هـو السـبب الحقيقـي لحصول الرؤيـة والمشـاهدة، فلـولاه لمـا رؤى القمـر أصلا. فالذي انشق من القمر ساعتئذ لا بد أنـه قـد كـان ذلك البساط، بل الجـزء منـه الحـاضر فـي أفـق مكـة

والحيز الآنف ذكره وافق الحجاز. فظهرت المعجزة في موضع الحاجة اليها والمناسبة معها، ولم تظهر حيثما انتفت الحاجة والمناسبة. وهكذا قدرت الآفاق والعلل والأسباب ليشاهد القمر في وقت واحد منشقا في افق وغير منشق في آفاق. والسر وراء الانشقاق وجودا وعدما في الحقيقة وواقع الأمر هو بساط القمر المنبث المنشق في مساحة منه وغير المنشق في مساحات أخرى. فتمت المعجزة حيث النبوة والرسالة والتحدي. ولعمر الحق إن انشقاق بساط القمر وتيار فوتوناته لهو ابلغ في وصف الإعجاز من انشقاق تراب القمر وصخوره. وصرح الإسلام مزاج من الإيمان والعلم، فكلما ازداد العلم منحا ازداد الإيمان قوة وبيانا. "إقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم".

أما أخبار المعجزة في بلد المعجزة ومحيطه وافقه فقد كثرت واستفاضت وتعاضدت، حتى قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (ج ٤ ص ٢٦١) إن

الانشقاق ورد في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وليس يتسع المقام هنا في هذه الرسالة الوجيزة لعرض تلكم الروايات ونصوصها. فسأكتفي باختيار بعض ما اختارها الأئمة الثلاثة: البخاري ومسلم والترمذي في كتبهم الجامع الصحيح، مبتدئا بما عند الامام البخاري:-

- "حدثنا مسدَّد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبى معْمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا."

- "حدثنا علي (ابن عبد الله) حدثنا سفيان اخبرنا ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معْمر عن عبد الله قال انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال لنا اشهدوا اشهدوا".

- "حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن

عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم".

- "حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال انشق القمر فرقتين". (راجع صحيح البخاري ج٦ ص ١٧٨ دار إحياء التراث العربي).

واخرج الأمام مسلم ما يلي ثبته (راجع له الصحيح ج ٤ ص ٢١٥٨ دار إحياء التراث العربي):-

- "حدثنا عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيج عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول صلى الله عليه وسلم بشقتين فقال رسول صلى الله عليه وسلم اشهدوا".

- "حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب وإسحق بن ابراهيم جميعا عن ابي معاوية ...ح وحدثنا عمرو بن حفص بن غياث حدثنا أبى كلاهما عن الاعمش ...ح وحدثنا منجاب بن الحارث التميمي (واللفظ له) اخبرنا ابن مُسهِر عن

الأعمش عن إبراهيم عن أبى معمر عن عبد الله بن مسعود قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول صلى الله عليه وسلم اشهدوا".

- "حدثني زهير بن حرب وعبد بن حميد قالا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين".

" وحدثنيه محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس بمعنى حديث شيبان".

واكتفى الإمام الترمذي بتخريج حديث ابن عمر والإشارة إلى أحاديث علماء الصحابة الآخرين:-

-"حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال انفلق القمر على عهد رسول صلى الله عليه وسلم فقال رسول صلى الله عليه وسلم: اشهدوا".

"قال أبو عيسى: وفي الباب عن ابن مسعود وأنس وجبير بن مُطْعِم. وهذا حديث حسن صحيح".

(راجع الترمذي، "الجامع الصحيح" ج ٤ ص ٤٧٧ طبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٣٨٢).

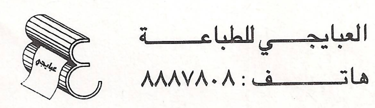
دقق النظر - أيها القارئ المجد- في الأحاديث المتقدمة تتبيّن أن الانشقاق حصل مرتين، مرة بمكة ومرة بمنى، في حضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم. ومن ههنا سبق أن قلنا بادئ هذه الورقات أن كاتبها لعلى اعتقاد بان القمر انشق اكثر من مرة في الحجاز قبل الهجرة. و آثرنا هنالك لفظة الحجاز للآثار الواردة في شأن السفار الذين كانوا في طريقهم إلى مكة المكرمة ورأوا الانشقاق وهم في الطريق واخبروا به عند وصولهم. وهذا يرجح عندي انشقاق بساط الفوتونات في دائرة أفق الحجاز كلها، لا دائرة أفق مكة ومنى وحدهما. فالسفار الذين مروا في نطاق الكبرى من هاتين الدائرتين أو نحوها شاهدوا انشقاق القمر فاخبروا به لدى الوصول. هذا على أن الثقة إنما

هي بما تطـــابقت عليـــه روايـــة العلمـــاء الذيـــن تقدمـــت أسماؤهم مـــن أصحـــاب رســـول الله - صلـــى الله وســـلم عليه وعليهم أجمعيـــن.

حي الجامعة - بغداد.

ذي الحجة ١٤١٥

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧ لسنة ١٩٩٧



العبايجـــي للطباعـــة
هاتـــف : ٨٨٨٧٨٠٨